على الغلاف

«ربيع داعش» في شمال أفريقيا

هو تنظيم «داعش» يتوسع خارج بلاد الشام. لم يكتفِ بـ«ولاية سيناء» وحدها، بل يبدو مصمماً على التمدد في كامل الشمال الأفريقي. ما حصل في سرت أمس ليس سوى محطة من سلسلة تستهدف إطلاق «ربيع داعشي» في القارة السوداء

لا تقف الأزمة عند هذه الحدود بل تمتد إلى الجنوب (أ ف ب)

في الأمس القريب، أعلنت «ولاية سيناء». واليوم «ولاية سرت»، وغداً «ولاية الجزائر» و«ولاية الرباط» و.... ما سبق ليس مجرد خيال، بل حقيقة يبدو واضحاً أنها تحفر نفسها في الأرض في ذلك الشمال الأفريقي المترامي الأطراف، حيث الحدود الفاصلة بين الدول بآلاف الكيلومترات تعبر صحارى لا أول لها ولا آخر، ولا من قدرة على ضبطها.

منطقة الفكر التكفيري جزء أصيل من مكوناتها، عملت على تدعيمه دول إقليمية نافذة، تتقدمها السعودية، بالمال والدعاة والكتب وغيرها. كانت في ثمانينيات القرن الماضي، المصدر الأساسي للجهاديين إلى أفغانستان، أو ما عرف حينها بالأفغان العرب. وكانت في التسعينيات مسرحاً لنشاط هؤلاء الذين راحوا يقاتلون جيوش بلادهم في محاولة لأسلمة الدول. والعقد الماضي، انتقلوا إلى العراق لمقارعة الاحتلال الأميركي لبلاد المسلمين، قبل أن ينتقلوا مع الألفية الجديدة إلى سوريا للمشاركة في معركة إسقاط الرئيس بشار الأسد. ليس مهماً العنوان الذي

> **لم تكن حقيقة وجود جماعات تكفيرية في دول الشمال الأفريقي خافيةً**

اتخذوه لأنفسهم ولا الراية التي حملوا السلاح تحتها. في الماضي كان تنظيم «القاعدة» درة التنظيمات التكفيرية في العالم، بعدما تحول إلى أنموذج له أطره وآليات عمله ومنهجه «الجهادي»، وذلك قبل أن تسقط معاقله في أفغانستان ويتحول إلى علامة تجارية تضعها كل مجموعة تكفيرية تقرر أن ترفع السلاح وتمارس الإرهاب في اتجاه ما. واليوم، تغير هذا النموذج وأصبح اسمه «داعش» الذي ولد في العراق قبل أن يتحول هو أيضاً الى نقطة جذب للتكفيريين في كل أنحاء العالم، وبينهم «الجهاديون الأفارقة».

لا يمكن الحديث عن السلفية الجهادية وتاريخها من دون أن تحتل مصر مركز الصدارة. فتلك الحالة فيها ليست مستجدة، ولا حتى سيناء تشكل وضعاً منعزلاً عن الداخل المصري. اعتمدت القاهرة في التعامل مع جماعات كهذه، منذ البداية، نظرية تصدير الضرر منذ اغتيال أنور السادات الذي كان يوفر حضناً لمن كانوا يسمون «المجاهدين» قبل أن يقتل برصاصاتهم. لكنها عادت إلى دائرة الاستهداف الجهادي في العقدين الأخيرين وقبل أزمة «الربيع العربي»، بعمليات اقتصرت بداية على الأهداف السياحية بدرجة رئيسية، قبل أن تتصاعد لتدخل في حالة اشتباك تدريجية مع الجيش المصري، بالتزامن مع بعض الهجمات الصاروخية المتفرقة على إسرائيل، وصولاً إلى ترك الأخيرة وراء الظهر والتوجه إلى استهداف القوات المصرية، باعتبارها عدواً أول. ومن أبرز الحركات التكفيرية المصرية، «أجناد مصر» و«أنصار بيت المقدس».

غير أن أهمية الحالة الليبية تكمن في أنها نقلت تجارب الحركات المتطرفة من العمل في الظل إلى العلن عبر السيطرة على مساحات واسعة تشمل مدناً وطرقاً استراتيجية تصل بين البحر الأبيض المتوسط والصحراء الأفريقية (الصحراء الكبرى)، وقد عزز هذا الأمر بشكل رئيسي واقع انفلات الأوضاع في ليبيا إثر سقوط نظام معمّر القذافي وعدم وجود قوى قادرة على تجميع أوصال السلطة ضمن الأراضي الليبية. ولم تكن حقيقة وجود جماعات تكفيرية في دول الشمال الأفريقي خافية. سبق أن أعلنت المجموعات الجزائرية والتونسية والليبية الولاء لـ«داعش». فقد كشفت مجموعة من العناصر المتطرفة في 12 أيلول الماضي، عن انضمامها إلى «الدولة الإسلامية في العراق والشام» ومبايعة أبو بكر البغدادي، بعد انشقاقها عن «القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي»، التي يتزعمها الجزائري عبد المالك دروكدال، وأطلقت على نفسها «جند الخلافة في أرض الجزائر» وأميرها خالد أبو سليمان. هناك أيضاً «جند الخلافة في أرض الجزائر» التي كانت تعرف في ما مضى بكتيبة «الفرقان»، التي كانت تنشط تحت لواء «القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي». أما في تونس، فقد أعلنت كتيبة «عقبة بن نافع»، التي يقودها الجزائري لقمان أبو صخر، الولاء لتنظيم «داعش»، والتي لها علاقات وطيدة مع تنظيم «أنصار الشريعة» التونسي بقيادة أبو عيّاض، وفرعه الليبي بزعامة محمد الزهاوي، ما يعني أن لمبايعة الكتيبة لتنظيم «داعش»، روابط مع الجماعات المتطرفة الناشطة في ليبيا. لكنّ ليبيا تصنع الاستثناء، وتبقى أكبر ملجأ للعناصر الإرهابية التابعة لـ«الدولة الإسلامية»، بعدما كانت الخزّان الرئيسي والممون الأساسي لمختلف الجماعات المنتشرة في سوريا، فضلاً طبعاً عن المجموعات المعلنة في كل من التشاد جنوباً، مروراً بالنيجر ومالي، وصولاً إلى موريتانيا. دول يجمع بينها ما يسمى الصحراء الكبرى (تشمل دولاً أخرى والأفضل تعريفها بمنطقة تداخل الصحراء الكبرى والساحل).

لكن، وبهدف تحديد أطر زمنية تُمكّن من رسم صورة تقريبية (في ظل غياب المعلومات الدقيقة)، فإنّ الظهور الفعلي ترافق مع التحولات التي شهدها العالم العربي من جهة، ومع عملية «سرفال» الفرنسية في شمال مالي من جهة أخرى.

عادت شمال أفريقيا لتكون في قلب الصراعات الدولية بالنظر أساساً إلى عنصر الحرب على الإرهاب، حروب تؤججها عناصر أخرى، بينها الخلافات الحدودية والموارد الطبيعية التي تحتويها، لتعقد المشهد وتتحول إلى أهم المناطق التي تشهد صراعات على الساحة الدولية. أيضاً، فإنّ الدول الغربية، استفادت، وتستفيد، من واقع ضعف تمدد نفوذ مراكز السلطة في الدول المعنية لتجد مبرراً لإنشاء قواعد عسكرية هناك، فيكون لها ما يلزم من أدوات عسكرية خلال المراحل المقبلة.

وقد لا تقف الأزمة عند هذه الحدود، بل إلى الجنوب. هناك طرف راكم عوامل التموضع والانتشار وسط

«داعش» تسيطر على سرت... وقوات مصراتة على الأبواب

سيطر مسلّحو «الدولة الإسلامية» أمس على معظم المباني الحكومية والمؤسسات الإعلامية ومباني الجامعة في سرت، حيث نشروا قناصة فوق المراكز الحيوية، وذلك غداة استعراض قوة في المدينة التي يبدو أنها تشهد استعدادات تشير إلى قرب وقوع الصدام بين مسلحي التنظيم وقوات مصراتة التي قامت بإغلاق مداخلها.

وبثّت مواقع الفرع الليبي لـ«داعش» على تويتر أمس صوراً لعشرات السيارات الرباعية الدفع المسلحة، على متنها ملثمون يرفعون الراية السوداء، تتجول في شوارع سرت حاملة أسلحة متوسطة ومضادة للطائرات. وقال شهود عيان إن موكب السيارات المسلحة الذي قال التنظيم المتطرف إنه «استعراض عسكري لجند الخلافة في المدينة» ضمّ نحو 60 سيارة رباعية الدفع مسلحة، وحاصر جامعة المدينة إضافة إلى مجمع الوزارات السابق في الجهة المقابلة. وأفادت كلية الطب في الجامعة عبر حسابها في فايسبوك، على لسان عميدها إدريس الشاعري، بأنه «لن تكون هناك محاضرات للطلاب، والدراسة للسنوات الأولى والثانية والثالثة بالكلية أوقفت اعتباراً من الخميس حتى إشعار آخر، كما سيتم تأجيل الامتحانات لنهاية الشهر الحالي نظراً للظروف الأمنية في المدينة».

ويسيطر جهاديون منذ مدة على قاعة «واغادوغو» حيث كان ينظم العقيد معمر القذافي المؤتمرات والقمم العربية والأفريقية، فيما سيطر مسلحون إسلاميون منذ أسبوع على محطات إذاعية ومؤسسات حكومية أخرى.

وقال مسؤول محلي إن المصالح الحكومية بدأت تعليق أعمالها تباعاً منذ نحو أسبوع، بسبب سيطرة الاسلاميين على مقارها.

وسرت مسقط رأس القذافي الذي سقط إثر ثورة 2011 وقتل في هذه المدينة التي أصبحت ملاذاً للإسلاميين، وخصوصاً «أنصار الشريعة» التي يصنّفها مجلس الأمن الدولي إرهابية.

ولجأت الجماعات الإسلامية إلى سرت التي شهدت دماراً كبيراً خلال الثورة وأفرغت من أي وجود للقوى العسكرية، بعد الهجمات التي نفذها إسلاميون على مقر السفارة الاميركية في بنغازي في عام 2012، وأدى ذلك الى قيام مواطنين باقتحام مقار هذه الجماعات الإسلامية وطردها من بنغازي قبل أن تعود اليها بشكل غير معلن حيث تخوض معارك شبه يومية مع الجيش.

وفي السياق، أكد مصدر ليبي فشل مفاوضات جرت بين القوات التابعة لمصراتة، المرابطة على مداخل سرت، وتنظيم «الدولة الإسلامية»، والتي حاول خلالها قادة قوات مصراتة دفعه إلى إخلاء المقار العامة ومغادرة سرت.

وكانت سلطات طرابلس أرسلت مؤخراً الكتيبة 166 التابعة لقوات «فجر ليبيا» إلى سرت عقب مذبحة المصريين الأقباط في المدينة التي أفادت الأنباء الواردة منها بأن أعداداً كبيرة من مسلحي تنظيم «الدولة الإسلامية» دخلتها في اليومين الماضيين قادمة من بلدة «النوفلية»، إحدى أهم معاقلهم، وتقع إلى الشرق من سرت بمسافة 120 كيلومتراً.

عناصر من «فجر ليبيا» تقف عند حاجز غربي سرت (أ ف ب)